تاريخ الطب فى إيران الإسلامية

قيس آل قيس *

الملخص

يعتبر الطب منأقدم العلوم البشرية حيث أن هذا العلم يخدم بقاء الإنسان ذلک البقاء الذى طالما تطلعت إليه البشرية منذ أمد بعيد.

و من هذا المنطلق يلقى هذا المقال الضوء على نشأة هذا العلم من ناحية و تطوره و تدوينه من ناحية أخرى كما أنه يدرس ظهور الطب و تطوره فيالإسلام مشيرا إلى الأطباء المسلمين والجامعات الإسلامية التى كانت تدرّس الطب و تنشره بين المسلمين.

و أخيرا ينطلق نحو الغاية المنشودة و هى دراسة تاريخ الطب بعد ظهور الإسلام فى إيران الإسلامية.

الكلمات الدليلية: الطب، الإسلام، الأطباء، الحكماء، الترجمة، المستشفى، بيمارستان.

*. أستاذ مشارک بمعهد العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية (دانشيار پژوهشگاه علوم انسانى ومطالعات فرهنگى).

تاريخ الوصول: ١٣٨٨/٣/١٢هـ . ش تاريخ القبول: ١٣٨٨/٥/٢٠هـ . ش

ظهورُ العلوم الطبيّة

من المؤكَّدَ أنَّ البحث عن نشأة العلوم الطبية أمرٌ ليس بالهيِّن بل هو عسيرٌ جداً لِبُعدِ العهد، وتباين الآراء فيه منذ القِدَمِ، ولم نجد لذوى الآراء الصادقة قولاً مرجَّحاً يعتمد عليه، والآراء السائدة فى هذا المضمار تنقسم الى قسمين، القسم الاوّل يقول بقدمه ويعتبرونه كأحد الأشياء القديمة لم تزل مُذْ كانت، مثل خلق الانسان، والقسم الثانى يقول بحُدُوثِهِ، وهم فريقان: فريقٌ يقول إنَّ الطب خلق مع الانسان لانَّهُ من الأمورِ التى بها صلاح البشرية، وفريقٌ يقول انَّ العلوم الطبية أُسْتُحْدِثَتْ فيما بعدُ، وهم طائفتان:

الطائفة الأولى تقول انَّ اللّه سبحانه وتعالى أَلْهَمَ هذه العلوم الانسان، وهم أنصار آراء جالينوس (Galenos) وبُقراط (Hippocrate) و أصحاب القياسِ. والطائفة الثانية تقول إنَّ الانسان قد اكتشفَ هذه العلوم واستخرجها نتيجة تجاربه وهم أنصار ثاسْلُوس (Thessalos) وفيلن، وهؤلاء مختلفون أيضاً فى الوضع الذى استُخْرِجَتْ بِهِ.

يقول قسمٌ منهم إنَّ المصريّين هم الذين استخرجوها، ويقول القسم الآخر ان هُرْمُس (Hermes) هو الذى استخرج الطب والفلسفة، وهناك طائفة تقول إنَّ أهل «فولوس» أو أهل «موسيا» و«أفروجيا» كانوا يعالجون الناس بإيقاعات المزمارو ألحانه، وبعضهم يقول إن حكماء أهل «قو» وهى الجزيرة التى كان بها بقراط وآباؤه هم الذين اكتشفوا الطب وعلومه.

وأغلب المؤرخين القدماء يعتقدون أنَّ الطب ظهر فى جُزُرٍ ثلاثٍ هى: جزيرةُ رُودس (Rhodes) إحدى جزر الأرْخبيل اليونانى قرب الساحل الغربى الجنوبى من تركيا الآسيويَّةِ، وجزيرةُ قَنِيْدَسَ وهى جزيرةٌ صغيرة فى دوديكانيز (Dodecanese) فى أرْخبيل سپوراد، وجزيرةُ قُو (Cos) فى غرب مجمعِ الجزائرِ فى بحر إيْجَةَ مَوْطِن بُقْراطَ.

ورُوى أنَّ الكِلْدانِيّينَ (وهمْ سكَّانُ جنوب العراق فى الأَلْفِ الأوَّلِ قبل الميلاد) هم الذين استخرجوا العلوم الطبية، وقيل السَّحرةُ من أهل اليمنِ فى جنوب الجزيرة العربية،

١. هو إلهُ الفصاحة والتجارة عند اليونان ورسول الآلهةِ، سمّاهُ الرومان: مِرْكُور بن جُوبِيتَر.

وقيل سحرةُ بابل العراق أو سحرةُ بلادِ فارس (إيران)، ويقول البعضُ إنَّ أول من استخرج هذه العلوم أهل جزيرة كريت (Crete) اليونانية، وقيل أهلُ طُور سينا وهى بلدةٌ فى جزيرة سيناء جنوب غربى جبل موسى على قناةِ السُّويْسِ.

أمّا الذين قالوا بأنَّ اللّه سبحانه وتعالى ألْهَمَ الانسانَ هذا العلم (وهم أنصار جالينوس وبُقراط كما ذكرنا) فَيَعْتَقِد بعضهم «هو إلْهَامٌ بالرؤيا» حيثُ أنَّ جماعة رأوْا فى منامهم أدويةً استعملوها فى اليَقْظَةِ فَشَفَتْهُمْ وشَفَتْ من استعملها بعدهم.

والبعضُ الآخرُ يعتقد أنَّ الإلهامَ كان بالتجربة حيثُ استعمل الإنسان بعض النباتات صدفةً فكان فيها الشفاءُ، فاشتهرت بين الناسِ وعمَّ استعمالها، وساد أمرُ التجرُبةِ بين أرباب هذه المِهْنَةِ.

وأمّا الذين قالوا: إنَّ اللّه خلق صناعةَ الطبّ مُذْ خلق الإنسان لأنه من الأمور التى بها صلاحُ البشريةِ، واحتجُّوا فى ذلک بانَّهُ لا يُمكنُ لعقل الانسان أن يستخرجَ هذا العلمَ.

ورأيتُ فى طبقاتِ الأطباءِ نقلاً عن تفسير كتاب الإيمان: «وأمّا نحنُ فالأصْوَبُ عندنا والأولى أن نقولَ إنَّ اللّه تبارک وتعالى خلق صناعة الطب وألْهَمَها الناس، وذلک أ نَّهُ لا يمكن فى مثل هذا العلم الجليل أن يَدْرُكَهُ عقلُ الانسان، لكنَّ اللّه تبارک وتعالى هو الخالقُ الذى هو بالحقيقةِ فقط يمكنه خلقهُ». (طبقات الأطباء لابن أبى أُصيبعة، ص ١٣)

الطبُّ قبل التَّدْوِين

اتَّفقَ أكثرُ المؤرخينَ ورجالُ العلومِ الطبيّةِ أنَّ «أسقلبيوس ـ Asclepios» أوّل من تكلّم فى شيءٍ من الطب على طريق التجربةِ وانكشفت له أمورٌ عجيبةٌ من أحوالِ العلاج والتمريض بإلهام من اللّه جلَّ شَأْنُهُ فعظَّمَهُ أهلُ بلده حتّى صار عندهم إلهَ الطب، لانَّهُ أبرأ المرضى الذين يَئِسَ الناسُ من بَرْئِهِمْ ولمّا شاهدَ الناسُ أفعالهُ ظنَّ بعضُ العامَّةِ أنَّهُ يُحيى المَوْتَى.

وعاش أسقلبيوسُ قبلَ الطوفانِ بِخَمْسَةِ قُرُونٍ وذكرَ المؤرخونَ أنَّهُ علَّمَ أبناءَهُ صنعةَ الطبِّ مُشَافَهَةً وحذَّر عليهم أن يُعَلِّمُوها الغُرَبَاءَ.

وقد ذُكِرَ عنه أفعالٌ تُليقُ بالخُرافاتِ لا بالحقائق العقلانيَّة.

وخلَّفَ «أسقليبيوسُ» هذا ابْنَيْنِ ماهرين فى صناعةِ الطب وعهد إليهما أن لا يُعَلِّمَا الطب إلا لأولادِهِمَا وأهل بيتهما، وأن لا يُدْخِلا فى صناعة الطب غريباً.

وأتمَّ مسيرة «أسقليبيوسَ» تلامِذَةٌ من آل بيته، وهم: مَاغِيْنَسُ، وسُقْرَاطُونُ، وخُرُوسِيْسُ، ومِهْرَارِيْسُ، ومُورِيْدِسُ، وميْسَاوسُ. وكان هؤلاء يَنْتَحِلُونَ رأىَ أستاذهم، وهو رأى التَّجربةِ، ولم يزل الطب يتنقَّلُ بين هؤلاء التلاميذ من جدٍّ لأبٍ ونجلٍ وحفيدٍ إلى أن ظهر: غُورسُ (Gors)، وهو ثانى حُذَّاقِ الأطباء المشهورين بعد «اسقليبيوس»، وخلَّف من الأطباء بين ولدٍ وحفيدٍ سبعة أشخاص وهم: مَرْقِسُ، وجُورْجِيسُ، ومالِسْطِسُ، وفُولِسُ، ومَاهَالسُ، وأراسْطُواطسُ الأوّلُ، وسَقِيْرُوسُ، وكان كلُّ واحد من هؤلاء ينتحلُ رأى أستاذه وهو رأى التجربة، ولم يزلْ هذا العلم يتنقَّلُ بين هؤلاء وأبنائهم، إلى أن ظهر مِيْنِسُ (Menes) وهو ثالثُ الأطباء المشهورين حيثُ جدّدَ النظر فى نظرية الآباء القائمة على التجربة وضمَّ اليها القياس، وقال: لا تجربة بلا قِياسٍ لأنَّ التجربة تكون خطراً على حياة المريض، وخلَّف من التلاميذ أربعةً، وهم: قَطُرطُسُ، وأمِيْنُسُ، وسُورانُسُ، ومِثِينَاوسُ القديمُ، حيثُ عملوا بطريقةِ القياس والتجربة، ولم يزل الطب ينتقل من أستاذ إلى طالب، إلى أن ظهر بَرْمَانيدس (Parmenides)، وكانت الفترة بينه وبين مِيْنِسَ ٧١٥ سنة، ونقضَ بَرْمَانِيْدِسُ نظريَّةَ الأقْدَمينَ، وقال: «إنَّ التجربةَ خطأٌ وحدها كانت أمْ مع القياس»، ثمَّ اتَّخذَ القياس مَذْهَباً.

وبعد وفاته خلَّفَ ثلاثةَ تلاميذٍ وهُمْ: ثَاسِلْسُ، وأفْرِنُ، ودُيوفِيلسُ، فوقَعَ بينهمُ الخِلافُ، فاتَّخَذَ أفْرِنُ التجربةَ مَذْهَباً، واتخذ دُيوفِيلسُ القياس مَذْهَباً، أمّا ثَاسِلْسُ فانتحلَ الحيلَ، وقال: «إنَّما الطب حيلةٌ»، ولمْ تزلْ هذهِ الحالُ بينهمْ إلى أن ظهر أفلاطونُ بعد ٧٥٣ سنةً.

وعندما ظهر إفْلاَطُونُ (Phaton): وجد القوم على ثلاثةِ مذاهبَ كما ذكرنا أعلاه فنظرَ مقالاتِهِمْ، وعَلِمَ أنَّ التجربةَ وحْدَها رديْئَةٌ وخَطِرَةٌ، والقياسَ وحدهُ لا يصُحُّ، فانتحل الرأيَيْنِ جميعاً، وأسْقَطَ رأىَ أصحابِ الحيلِ ومن انتحلَ رأياً واحداً من التجربة والقياسِ،

وعندما تُوفِّىَ أفلاطون خلَّفَ ستَّةَ تلاميذَ من أولادهِ وأقاربِه، وهُمْ:

١ـ مِيْرُونِسُ: وأفردهُ بالحكم على الأمراضِ.

٢ـ فُورُونُوس: وأفْرَدَهُ بمعالجةِ الأبدانِ.

٣ـ فُورَاسُ: وأفردهُ بالفصد والكيِّ.

٤ـ ثَافْرُورس: أفردهُ بعلاج الجراحاتِ.

٥ـ سَرْجِسُ: وأفردَهُ بعلاجِ العينِ.

٦ـ فَانِيْسُ: وأفردهُ بِجَبْرِ العظامِ المَكْسُورَةِ وإصلاحِ المخْلُوعَةِ.

ولم يزل الطبُّ يجرى على هذه الطريقةِ إلى أن ظَهَرَ «أسقليبيوس الثانى».

أسقليبيوسُ الثانى: سار على الدَّرْبِ الذى رسمهُ إفلاطُونَ، وخرَّجَ ثلاثةَ طُلاّبٍ من أهل بيته لا غريب فيهم ولا طبيبَ سِوَاهُمْ، وهُم: بُقْرَاطُ، ومَاغَارِيْنَسُ، وأرْخَسُ وما هى إلا فترة حتى توفى مَاغَارِيْنَسُ، وشاءتِ الأقْدَارُ أن يَتْبَعَهُ بعد مدَّةٍ الطبيبُ الآخرُ أرْخَسُ، وبقى بُقْرَاط وحيد زمنه طبيباً كامل الفضائل تُضْرَبُ به الأمثالُ، وعلَّمَ الغُرَبَاءَ الطبَّ وجعلهم كأوْلادِهِ، وبِفَضْلِ بُقراط الحكيم خرجَ الطبُّ من دائرتِهِ المُغْلَقَةِ خوفاً عليه من الزّوالِ والفناءِ.

تَدْوِينُ العلوم الطبية

اتَّفقَ المؤرِّخُونَ على أنَّ أوَّلَ من دوَّنَ عِلْمَ الطبِّ، بُقْرَاطَ الحكيم (Hippocrate) الذى ولدَ فى جزيرة قوس (Gos) باليونان نحو سنة ٤٦٠ ق.م، وتُوفى سنة ٣٧٧ق.م، ونُقِلَتْ مُصَنَّفَاتهُ إلى العربية، منها: كتابُ تَقْدِمَة المعرفة، وكتابُ طبيعة الانسان. وكان فى زمن أردشيرشاه من مُلُوك الفُرْسِ، وكان يسكنُ حِمْصَ من مُدُنِ الشَّامِ.

ثمَّ ظهر من بعده جالينوس الحكيم (Galenos) (نحو ١٣١–٢٠١م) إمامُ أطباء عصْرِهِ وصاحب الاكتشافات الخطيرة فى التَّشْرِيحِ، ومؤلفُ الكتب الجليلة فى الطبّ وغيره ومؤلَّفاتُهُ تَنيفُ على ستين تأليفاً، وهو من أكبر مراجع أطباء العرب والمسلمين.

ثُمَّ أتمَّ مسيرتهُمَا فيلغريوس (philigarius) وهو طبيبٌ وجرَّاحٌ اشتهرَ بين الأطباء

المسلمين بكتابه (أمراض اللثَّة والأسنان) الذى ترجمهُ إلى العربية ثابتُ بنُ قُرَّةِ بنِ زَهْرُوْنَ الحرّانى (٢٢١-٢٨٨هـ).

أوريباسيوس (٣٢٥) ،(Oribasios-٤٠٠م) ولهذا الطبيبُ شُهرةٌ واسعةٌ لدى أطباءِ الأمصار الإسلاميةِ له كُناشٌ فى الطبِ ترْجَمَهُ حنينُ بنُ اسحاقَ الطَّبيبِ (١٩٤-٢٦٠ه) إلى العربية. ثمَّ سادتْ بعد هؤلاء سجيَّةُ تَدْوِين المؤلفاتِ الطبيّة حتّى وصلتْ إلى ما وصلت إليه فى عصرنا الحاضر.

الطبُّ فى الإسلامِ

المقصودُ من الطبّ فى الإسلام هى التعاليمُ الطبيّةُ التى وردت فى القرآن المجيدِ، أو التى اقْتُبِسَتْ من السُّنَّةِ النَّبَويَّة على صاحبها وآلِهِ ألفُ الصلاةِ والسلام، ثمَّ انتشرتْ مع الفتوحات الإسلاميةِ التى شملت الأنحاء المعمورةِ، وعمل بها المسلمون أيْنَما وُجِدُوا لاعتقادهم الرّاسِخِ بالقُرآنِ المجيدِ وتنفيذِ ما جاء بهِ حَرْفيّاً.

وقد أشار القرآنُ الكريمُ إلى الماء وهو عنصرُ الطهارةِ فى ٦٣ آيةً وعيَّنَ دَوْرَهُ الفعَّالَ فى النَّظَافَةِ، ابتداءً من الوضوءِ للصلاة وانتهاءً بأنواعِ الطهارةِ والغسل الواجب والاستحمام، ومَنْ درسَ القرآنَ المجيدَ يتبيَّنُ لهُ أنَّ القرآنَ لم يَهْتَمّ بالعلاجِ فقط وإنَّما تجاوزَهُ إلى الوقاية قبل المرضِ حيثُ قال عزَّ وجلَّ: ﴿كُلُوا واشْرَبُوا ولا تُسْرِفُوا﴾ (سورة الأعراف، الآية ٣١) ﴿والْوالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أولادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٣٣)

وقالَ الرسولُ الأكرمُ (ص): «العلمُ علمانِ، عِلْمُ الأبدانِ، وعِلْمُ الأديانِ» ويظهرُ من هذا أنَّ الرَّسُولَ (ص) كان يُقَدِّمُ العلمَ المُتَعَلِّقَ بالبَدَنِ، على العلمِ المتعلِّقِ بالدين، كما كانت أحاديثُهُ (ع) فى هذا المضمار قد جَلَبَتْ أنظارَ عُلَمَاء الطبّ من القرنِ السابع الميلادى إلى يوْمِنَا هذا، منها:

قال (ص): «المِعْدَةُ بَيْتُ كُلِّ داءٍ والحِمْيَةُ رأسُ كُلِّ دَوَاءٍ».

وقال (ص): «شُرْبُ الأَلْبَانِ مَحْضُ الإيمانِ».

وتَرَكَ لنا الرَّسولُ الأكرمُ مجموعةً كبيرةً من التَّعاليم الطبيّة مقسَّمَةً على ثلاثة فُنُون:

١ـ قواعد الطبِّ.

٢ـ الأدوية والأغذية.

٣ـ علاج الأمراض.

وقَدْ جَمَعَها عددٌ من العلماء فى كتابٍ وسمُّوهُ: «الطبّ النبوىّ»، منهم: أبو نُعيم أحمدُ بنُ عبدِ اللّه الأصفهانىُّ المتوفى سنة ٤٣٠هـ وأبو العباس جعفر بن محمد المستغفرى المتوفى سنة ٤٣٢هـ وجلال الدين عبدالرحمن السيوطى المتوفى سنة ٩١١هـ وطُبِعَ الكتابُ فى مصر سنة ١٣٤٦هـ.ق طباعة حديثة فى ٢٧٩ صفحةً. (راجع كشف الظنون، ج٢، ص ١٠٩٥، وفهرست الكتب العربية المطبوعة فهرست كتابهاى چاپى عربى تأليف خان بابا مشار (بالفارسية)، ص ٦٠٥)

وقد سارَ على هذا النَّهْجِ الأئمةُ الأطهارُ عليهمالسلام حيث وصلنا من هذا التُّراثِ «طبُّ الإمامِ الصادق (ع)» طبع فى النجف الأشرف طباعة حديثة سنة ١٣٧٤ هـ.ق، و«طبُّ الإمامِ الرضا» تأليفُ الإمام علىّ الرضا ابن الإمام موسى الكاظمِ عليهما وعلى آبائِهِمَا السلامُ، وقد طُبع هذا الكتاب ضمن المجلد الرابع عَشَرَ من كتاب بحار الأنوار، وبشكل كتابٍ مستقلٍ فى بغدادَ (وبدون تاريخ) باهتمامِ الدكتورِ صاحب زينى فى ١٧٠ صفحة.

الطبُّ الاسلامىُّ

منَ المُتَّفَقِ عليهِ تاريخياً أنَّ الطبَّ الإسلامى امتدادٌ للطب الفارسى واليونانى والإسْكَنْدَرانىّ، وأنَّ كافةَ أطباء العصر الإسلامى قد استندوا فى دراستهم على مصادر وآثار علماء الأقطار المذكورة. ونهض بأعباء النهضة الطبية رجالٌ من كافة أرجاءِ البلدان الإسلامية، وقاموا بأعمالٍ مهمة منها ترجمةُ المصنَّفاتِ والمؤلّفاتِ من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية والتى تُعْتَبَرُ لغة العلم والثقافة فى ذلک الأوان. وكان أغلبُ هؤلاء العُلَماءِ المسلمين من غير العربِ، لذا فقد نسب أكثر المؤرخين هذه العلوم إلى العرب بدل الإسلام وذلک لأنَّهُمْ اعتبروا لغةَ الدينِ والقُرآن والتى تكلّمَ وكتبَ بها كُلُّ مسلمٍ لغةَ

قوم، وخلطوا بين الطبِّ الإسلامى والطبّ العربىّ.

كما أنَّ أشهرَ أطباء الإسلام هم من خرِّيجى جامعة جُندى سابور (جندى شابور)، رحلُوا بعلومهم إلى البلاد العربية وكان فخرهُمْ أنَّهم من منتسبى جندى سابور.

ومما تجدرُ الإشارةُ إليه هو أنَّ العلوم الطبية فى الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام كانت علوماً بدائيةً ونتيجةً لامتزاجها بالعلوم الطبية للدول الإسلامية الأخرى فقد صار لها شأنٌ مرموقٌ، وكانت اللغةُ العربيةُ هى السائدة فى كافة الأقطار التى آمنتْ بالإسلام ديناً والقرآنِ كتاباً ومحمَّدٍ (ص) رسولاً، لذا دُوِّنَتْ كافةُ العلوم بِلُغَةِ الدينِ الجديد الذى يحملُ رسالة الهداية والإصلاحِ ولواءَ الحريةِ والعدالةِ ومشعلَ الرَّحَمْةِ والقُوَّة، كى يعمُرَ الأرضَ والنُّفُوسَ بالعمرانِ والإيمانِ، وبما أنَّ الطبَّ قد شارك العلومَ بهذه الميزة فإنَّنَا سَنَسْتعْرِضُ تاريخَ العلومِ الطبيّةِ الإيرانيةِ والإسلاميةِ ضمن إطارٍ واحدٍ.

الاطِبَّاءُ المسلمون

لقد حافَظَتْ جامعةُ جندى سابور على مكانتها العلميّةِ البارزةِ التى تميّزَتْ بها قبل الإسلام خلال القرنِ الأولِ والثانى الهجرى (أى: قبلَ التمركُزِ العلمىّ فى بغداد) وبعدهُ وقَدَّمَتْ أطباءَ مَلأتْ شُهرَتُهُمْ العالمَ أمثال جورجس بن جبرائيل المتوفى سنة ١٥٢هـ ، عيسى بن صهار بخت المتوفى سنة ١٦٥هـ ، عيسى بن شُهلافا المتوفى سنة ١٦٨هـ ، وبخت يشوع الكبير بن جورجس المتوفى حوالى سنة ١٨٠هـ ، وأبى يوحنا ماسويه المتوفى بعد سنة ٢٠٠هـ ، وجبرائيل بن بخت يشوع المتوفى سنة ٢١٣هـ ، وميخائيل بن ماسويه المتوفى سنة ٢٢٠هـ ويوحنا بن ماسويه المتوفى سنة ٢٤٣هـ ، وسابور بن سهل المتوفى سنة ٢٥٥هـ ، وبخت يشوع بن جبرئيل بن بخت يشوع المتوفى سنة ٢٥٦هـ ، ويوحنا بن بخت يشوع المتوفى سنة ٢٩٠هـ ، وغير هؤلاء.

وقدْ اِعْتَبَرَ المحقِّقُونَ والمُؤرخُونَ طبَّ جندى سابور القاعِدَةَ العريضةَ التى يَسْتَنِدُ عليها الطبُّ الإسلامىُّ، وأساتذة جُنْدى سابُور أساتذة مدرسةِ الطبِّ الإسلامى حيثُ قدَّمَ هؤلاءِ خَدَماتٍ طبيّةً جليلةً شَمَلَتْ أرجاءَ العالمِ الإسلامى. وهنا يجبُ أن لا ننسى دَوْرَ

الأطباء النَّساطِرَة (Nestoriens) أتباع بطريْک القسطنطينية (Nestorius) حيثُ قَدَّمُوا خَدَمات جليلةً بِنَقْلِهم العلوم اليونانيّة إلى منطقة الشرقِ الأوسط، والصَّابئة أو الحرّانييّنَ وهم فرقةٌ تُؤلِّهُ الكواكبَ وكان مقَرَّهُمْ فى حَرّانِ فى بلاد ما بينَ النَّهْرَينِ ظَهَرَ منهم أطباء أجلاء ذكرهم ابن أبى أُصيبعةَ فى كتابهِ عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، وخير الدين الزركلى فى الأعلام، ج٢، ص ١٨٢ «الحرّانى»، حيث قاموا بترجمة الكتب السريانيّة إلى العربية، أو بتأليف كتبٍ فى هذا المضمار، أو إدارتهم المُسْتَشْفياتِ والبيمارستانات ومعالجتهم المرضى، وطبّ الاسكندرية بمصر حيث انتقل إليها الطب اليونانى عن طريق أثنا (Athenes)، وطب الأنْدَلُسِ انتقل إلى الشرق أثناء الحكمِ الأموى بِقُرطُبَةَ.

أطِبَاءُ جُنْدِى سَابُور

كانَ لجامعةِ وبيمارستان جندى سابور دَوْرٌ مُهِمٌّ فى الطبِّ الإسلامى، واستمرَّتْ أهميّةُ هذا الدَّورِ الفعّالِ إلى أواخرِ القرنِ الثالثِ الهجرى، وكان لمدرسة جندى سابور الفضلُ الأكبرُ على العلوم الطبيّةِ فى العصر الاسلامىّ، حيثُ أَخَذَتْ على عَاتِقها القِسْطَ الأوفَرَ فى إعدادِ الأطباءِ والصيادلة، وعلى رأسِ هؤلاء الأطباء أبناءُ بخت يَشُوعَ الذين خدموا العلوم الطبية حوالى ٢٥٠ سنةً.

وكان الأساتذةُ فى جُندى سابور قبل الإسلام خَلِيْطَاً من الإيرانيين والسّريانَ واليونانيّينَ، وكان التَّدْريسُ باللغةِ اليونانية، أمَّا الفارسيةُ فكانت تُسْتَعْمَلُ فى علومِ الصَّيْدَلَةِ وتَحْضيرِ الدَّواءِ، وتَقَدّمُ الأطباءُ الإيرانيون فى هذا المضمار حيثُ اقْتَبَسُوا علوم الأطباء الأجانبِ وأضافُوا إليها اكتشافاتهم وتجاربَهُمْ فَوَصَلُوا درجةً تفُوقُ درجةَ الأطباءِ اليونانيين.

وكانت جامعة جندى شابور تُدرّسُ الحكمةَ والفلسفة والرياضيات والعلوم الطبيعية كما خصَّصَتْ لمدرسة الطب مستشفى يتمرَّنُ بها الطلبةُ. كما كان الطلابُ يَرِدُونَ إلى هذه الجامعة من المُدُنِ الإيرانية والدُّولِ المجاورَةِ.

قال القِفْطِىُّ فى تاريخ الحكماء، فى ترجمة الحارثِ بن كلدَة الثَّقَفِىُّ: «طبيبُ العَرَبِ

فى وقته، رَحَلَ إلى فارسَ وأخذَ الطبَّ عن أهلِ جندى سابور وغيرها فى الجاهلية وقبل الإسلام...» (تاريخُ الحكماء للقفطى، ص ١٦٢. كما روى القفطىُّ أنَّ الحارث هذا كان طبيبَ الرسول (ص) فى الإسلام)

جامعةُ جندى سابورُ وبغدادُ

كانت علاقةُ جُندى سابور ببغداد قائمةً على إحضار أطباء هذه الجامعة إلى بغداد طَوْعاً أو كُرْهَاً وللأسبابِ التالية:

١ـ قِلَّةُ الأطباء الحاذِقينَ قبل المركزيّة الطبية ببغداد والشهرةُ الواسعةُ التى كانت يتمتَّعُ بها أطباء جُندى سابور.

٢ـ قِلَّةُ الثقةِ بِعِلْمِ ومهارةِ الأطباء العرب من قبل الخلفاءِ والأمراء فى أوائل العصر العبَّاسىِّ.

٣ـ إفراطُ الخلفاءِ والأمراءِ فى الغذاءِ والشرابِ والـ...، ممَّا جعلهم يَبْتَلَوْنَ بأمْراضٍ يَعْجَزُ الطبيبُ غيرُ المُتَفَوّقِ مُعَالجتها، لذا اضطرّوا اِسْتِدْعاءَ أطباء مُتَخَصِّصِيْنَ من جندى شابور.

٤ـ رغبةُ خلفاء بنى العباس فى جعل عاصمة مُلْكِهِمْ (والتى شُيِّدَت حديثاً) مركزاً للعلوم والفُنون والآدابِ كى يَسْطَعَ كوكبُ العلم فى بغداد وتأفَلَ أنوارُ المراكز العلمية الأخرى كجامعة جُندى سابور مثلاً.

٥ـ اهْتَمَّ بعضُ خلفاء بنى العباس كهارون الرَّشيد (١٧٠-١٩٣هـ)، والمأمُونِ (١٩٨-٢١٨هـ) بترجمةِ العلوم اليونانية إلى العربية، والدورُ الفعَّالُ المتميزُ الذى قام به علماء ايران.

وكانت أوَّلُ رابطةٍ حصلت بين بغداد وجندى سابور هى إحضارُ جورجس الطبيب إلى بغداد من قبل الخليفة المنصور فى القرن الثانى الهجرى، قال القفطى فى تاريخ الحكماء: «كان المنصورُ فى صدر أمرِهِ عندما بنى مدينة السلام بغداد فى سنة ثمانٍ وأربعين ومائة للهجرة أدركهُ ضعفٌ فى معدته وسوءُ استمراءٍ، وقلَّةُ شهوةٍ، وكلما عالجهُ

الأطباء ازداد مرضُهُ، فتقدَّمَ إلى الرَّبيع (حاجِبِهِ) بجمعهم، فلمَّا اجتمعوا قال لهم المنصور: أريد طبيباً ماهراً. فقالوا: ما فى عصرنا أفضل من جورجِسَ رئيس أطباء جندى سابور، فتقدَّمَ المنصور بإحضاره. فأنْفَذَهُ العاملُ بجندى سابور بعد ما امتنع عن الخروج، وأكرههُ العاملُ فخرجَ ووصّى ولدهُ بخت يَشُوعَ بالبيمارستان...». (تاريخ الحكماء للقفطى، ص ١٥٨)

أما تدريسُ الطب فى بغداد فكان بواسطة أساتذةِ الطب القادمين من جُندى سابور حيثُ اجتمع عددٌ من الطلبة فى حلقة محاضرات جُورجسِ بن بختْ يَشُوعَ، وعيسى بن شهلافا وكانت هذه الحلقاتُ نواة مدرسة الطبِّ فى بغداد.

وكانت حلقةُ درسِ يُوحنا بن ماسويه من الحلقات الناجحة فكان برنامجها الدِّراسىّ يشتمل على العلوم الطبية والفلسفة والحكمة والطبيعيات، وقد تخرج منها عددٌ من كبار العلماء، منهم: الطبيب الفيلسوف ثابت بن قُرَّةَ (٢٢١ـ٢٨٨هـ).

وقد ألَّفَ ثابت هذا ١٥٠ كتاباً (انظر الأعلام للزركلى، ج٢، ص٨١) والفيلسوفُ الطبيب المنجم المترجم قسطا بن لُوقَا البعلبكىُّ (٠٠٠ـ٣٠٠هـ) كان جيد العربية وله مؤلّفات كثيرة وقام بتعريب عدد من المصنَّفاتِ اليونانية (معجم المؤلفين لكحالة، ج٨، ص١٣١، وعيون الأنباء، ص٣٢٩) وحُنَيْنُ بن اسحاقَ الطبيب (١٩٤-٢٦٠هـ) وكان يجيدُ اللغاتِ اليونانية والسريانية والفارسية، عيَّنهُ المأمون رئيساً لديوان الترجمة، وله كتبٌ ومترجماتٌ كثيرةُ تزيدُ على المائة (انظر الأعلام للزركلى، ج٢، ص٣٢٥) والمترجم المعروف الحجاج بن يوسف بن مطران، كان فى زمن هارون الرشيد والمأمون، وترجم كتباً عديدةً.

فكانت هذه التَّراجمُ أساساً للطبِّ الإسلامى وكان لها الأثرُ الأكبر فى تقدَّمِ العلوم الطبية، ودراستُ هذه الكتب ساعد الكثير من طلبة العلوم فى الوصول إلى غاياتهم، ونتيجةً لهذا فقد نبغَ جماعةٌ من الأطباء المسلمين، وارْتَقُوا بالعلوم الطبية الإسلامية إلى أعلى المستوياتِ.

ومِمَّا تجدرُ الإشارة إليه هو أنَّ مستشفى جامعة جُندى سابور كانت أكبر مستشفيات العالم فى ما قبل الإسلام وإلى سنة ١٧١هـ/٧٨٧م حيث قرَّرَ هارون الرشيدُ أن يُشيِّدَ

مستشفى على طراز جندى سابور، فاستدعى الطبيب الإيرانى المشهور جبرائيل بن بخت يشوع وأمره بإنشاء مستشفى فى بغداد، فقامَ جبرئيلُ بإنشائها على هيئة جندى سابور، وعندها أتمَّ عملهُ عيَّنَهُ الرشيدُ رئيساً لهذه المستشفى والتى سُمِّيتْ بمستشفى الرشيد، ثمَّ جُلِبَ إليها الأطباء من جندى سابور منهم الطبيب والصيدلىُّ المشهور أبو يوحنا ماسويه صيدلىُّ جندى سابور المشهور وغيره كما وضع لها برنامجاً يُطابقُ برنامج جندى سابور وبعد مدةٍ أحال رئاستها إلى دهشتک أحد أساتذة جُندى سابور ولكنَّ دهشتک هذا لم يوفَّق فى عمله فاستقال من منصبه مما اضطرَّ جبرئيل أن يُعيِّنَ أخاهُ ميخائيل بن بخت يشوع رئيساً للمستشفى المذكور واستمرَّ هذا التبادلُ الثَّقافىُّ والإسنادُ العلمى بين جندى سابور وبغداد من النِّصْفِ الثانى من القرن الثانى الهجرى واستمرَّ طيلةَ الحكمِ العباسى.

ومن هذا يتبيَّنُ للقارئ العزيز مدى التبادل الثقافى والإسناد العلمى بين جندى سابور وبغداد، والدَّور الفعَّال للأطباء الإيرانيين فى تقدُّمِ العلوم الطبيَّةِ وخصوصاً جامعة جندى سابور.

تاريخُ الطبِّ فى إيران الإسلامية

إنَّ تاريخ الطبِّ وحركة النمو والتكامل للعلوم الطبية فى إيران الإسلامية يبدأُ من سقوط الدَّوْلةِ الأمويةِ واستيلاء بنى العباس على الخلافة فى النِّصْفِ الأوَّلِ من القرن الثانى حيثُ بايع الناسُ أبا العباس السَّفاحَ بالخلافة جهراً فى الكوفة سنة ١٣٢هـ ثم بنى مدينة الهاشميّةَ قربَ الأنبار وجعلها مقرَّ خلافته، توفِّى السفَّاحُ سنة ١٣٦هـ، وَوُلِىَّ الخلافة أخوهُ أبو جعفرٍ المنصورُ، وأمرَ سنة ١٤٥هـ بناءَ مدينةِ بغداد، وبعد ذلک جعلها دارَ مُلْكِهِ بدلاً من «الهاشميَّةِ» ثُمَّ دعا إليها عُلماءَ البصرةِ والكوفة، وعندما استقرَّ هؤلاء فى بغداد بدأتْ حركة علميَّةٌ وشُكِّلَتْ حلقاتُ الوَعْظِ والحديث والفقه والأصول وعلوم العربية و...، وقصدها طُلاّبُ العلوم من كلِّ حَدْبٍ وصَوْب.

وبعد زمنٍ شُيِّدَتْ فى الجانبِ الآخرَ لِدِجْلَةَ محلَّةٌ باسم الكرخِ يربطُها ببغداد جسرٌ على دجلة. وكان قاطبةُ الإيرانيين قد رجَّحُوا السُّكْنى فى جانب الكرخ كما

شُيِّدَتْ أوَّلُ بيمارستان ببغداد فى الكرخ وكانت النَّواةَ لشجرةِ العلوم الطبية ونُقْطَةَ الانطلاق فى تكوين المدرسة الطبية ببغداد وعمل بها أطباء ملأتْ شُهْرَتُهُمْ عالم تلك الفترة أمثال آل بخت يشوع وغيرهم، وتوسَّعت بغداد فى زمن الرشيد وصارت مركزاً للتمدُّنِ الاسلامى ونشر العلوم وخصوصاً موضوع بحثنا «العلوم الطبية» وذلك لأن الخلفاء كانوا يحضرون الأطباء من البلاد المفتوحة إلى بغداد وخاصَّةً إطباء جندى سابور، وكان لأساتذة جندى سابور الفضلُ الأكبر فى نشر العلوم الطبية فى العصر الإسلامى وتوطيد أركان دار العلم ببغداد وعلى رأس هؤلاء آل بخت يشوع حيث قدَّموا للعلوم الطبية الإسلامية خدماتٍ جليلةً بين جدٍّ وأبٍ ونجلٍ وحفيدٍ وفى ستة أجيال وخلال ٢٥٠ سنة حيث كانوا سادة الطب والأطباء فى ذلك العصر.

مُتَرْجِمُو الكتبِ العلميّةِ والطبيَّةِ

كان تعريب المؤلفات والمصنفات قبلَ الدولةِ العبّاسيّة قليلاً ومحدوداً، وعندما تشكَّلتِ الدولةُ العباسيةُ اتّخذت ترجمة الكتُب مكاناً مرموقاً.

وحينما يرغبُ أىُّ ذى بصيرةٍ أنْ يُدوِّنَ موضوعاً ما عن التمدُن الإسلامىّ لا يُمكِنْ أنْ يَعْزُو التّقدُّم العِلمىّ إلى العَرَب وحدهم أو لغير العرب (من الأمصار المفتوحة) وَحدهم، وبما أنَّ تاريخَ الطبِّ فى إيران جزءٌ من تاريخِ الطبِّ الإسلامى لذا لا يمكنُ الفصلُ بينهما، وعلى مَنْ يُريدُ أن يخوضَ هذا البحرَ الزاخِرَ عليهِ أنْ يبحثَ العلوم من المغرب العربىّ والأندلس إلى إيران وجماهيريّات الاتّحاد السوفياتى السابقة وتركيا و باكستان والبنغال والهند وما إليها والصين والتِّبتَ وما جاورها لوقوعها ضمن حدود الإمبراطورية الإسلامية فى عصرها الذهبى، ولكى لا نخرجَ عن الهدف المقصود من هذا المؤلَّفِ نكتفى هنا بذكر المُتَرْجِمينَ الإيرانيينَ :

١ـ ماسَرْجُوَيْهُ (مَاسَرْجِيْسُ)، ذكره ابنُ النّديم فى الفهرست (الفن الثالث ـ من المقالة السابعة، ص٣٥٥) وقال: «من الأطباء، وكان ناقلاً من السريانىِّ إلى العربىّ، وله من الكتبِ...». ثمَّ ذكر فى نفس الصفحة فى تَرْجَمَةِ «اهرن القس»: «وعَمِلَ كِتَابَهُ (الكناش)

بالسريانية، ونقله ماسرجيسُ (إلى العربية) وزاد عليه مقالتين».

٢ـ عيسى بن ماسَرْجُوَيْهَ : كان مُتَرْجمَاً مثل والدهِ نقل من السريانية إلى العربية قال ابنُ النَّديم فى المصدر أعلاه: «ولهُ منَ الكُتُبِ: كتاب الألوان، وكتاب الروائح والطُّعُومِ».

٣ـ آل بخت يشوع: وهُمْ عائلةٌ مسيحيَّةٌ نَسْطُوريَّةٌ خدمتِ العلوم الطبيَّةَ بجندى سابور (جندى شابور) وبغداد خلال ثلاثة قرونٍ منهم: بختيشوعُ الكبيرُ، ثمَّ جُورجسُ بنُ بختيشوع الذى ترجمَ من اليونانية إلى العربية كُتُبَاً كثيرةً. (انظر الأعلام للزركلى، ج٢، ص١٤٣، وعيون الأنباء لابن أبى أُصيبعة، الباب الثامن، ص١٨٣)

٤ـ يوحنا (يحيى) بنُ ماسوَيْهَ قال صاحبُ عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ص٢٤٦: «قلَّدهُ الرشيدُ ترجمةَ الكتب القديمة مما وُجِدَ بأنقرةَ وعموريَّةَ وسائر بلاد الروم حين سباها المسلمون، ووضعه أميناً على الترجمة». وقد أ لَّفَ يُوحنا ٤٦ كتاباً ذكرناها فى ترجمته وأشرنا إلى نسخها الخطيَّة فى مكتبات العالم المعاصرةِ.

٥ـ عيسى بن صهار بخت (چهار بخت)، كان طبيباً من أطباء جندى سابور، وأستاذاً فى الترجمة، ومنه أخذ يوسفُ بن عيسى الطبيب المترجم المعروف بيوسفَ النّاقلِ.

وترجمَ عيسى بنُ صهار بخت المقالات الثلاث الأخيرة من تفسير جالينوس لكتاب «الفصول لابقراط» من السريانية إلى العربية، وأمّا الأصلُ السريانىُّ فقد ترجمه حنين بن إسحاق من اليونانية إلى السريانية. (تاريخ الطب فى إيران للدكتور محمود نجم آبادى، ص٢٣٦)

٦ـ يوسفُ النَّاقِلُ: هو أبو يعقوب يوسف بن عيسى المتطبب النّاقِلُ، ويُلَقَّبُ بالنَّاعِسِ، وهو تلميذ عيسى بن صهار بخت، وكان يوسفُ الناقلُ من خوزستان وكانت فى عبارته لكنة. (عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ص٢٨١)

٧ـ سهلُ بن ربنُ الطبرى، نُسِبَ إليهِ ترجمة «المجسطى».

٨ـ عيسى بن ماسة، ذكره الدكتور نجم آبادى ضمن المترجمين. (تاريخ الطب فى إيران، ص ٢٦٩)

٩ـ يوحنا بن بخت يشوع ترجمَ كثيراً من الكتب اليونانية إلى السريانية.

ونكتفى بهذا العدد من المترجمين الإيرانيين ونرجو من يرغب المزيد مراجعة طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة، ص ٢٧٩-٢٨٤.

الكتبُ الطبيّةُ

من المعروفِ أنَّ تدوينَ تاريخ الطبِّ يشمِلُ ترجمةَ حياةِ الأطباء والحكماءِ وآثارهم ومؤلفاتِهم، ورُوىَ أنَّ أقدمَ رسالةٍ فى هذا الموضوع هى رسالة إسحاق بن حُنين (٢١٥-٢٩٨هـ) «تاريخُ الأطباء والحكماء» بدأ منذ تاريخ ظهور الطبِّ إلى زمن الطبيب المشهور محمد بن زكريا الرازى المتوفى سنة ٣١١هـ ومِمَّا لا شک فيه أنَّ كُتُباً قد سبقت رسالة ابن حُنين فى هذا المضمار كَكِتَابِ «قسم بُقْرَاط» المنسوب إلى جالينوس، وتاريخ يحيى النحوى للأطباء والحكماء وقد ترجمه إسحاقُ بن حُنين وضمَّنَهُ كتابه المذكور أعلاه، وكان مُؤَلَّفُ إسحاقَ مصدراً لكافَّةِ كتَّابِ تواريخ الطبِّ من بعده، وهى:

١ـ كتابُ قينون الترجمان (من القرن الثالث الهجرى) وهو الذى قال فيه ابن النديم فى الفهرست: «ومنهم قينون، وهو أصح الناقلين نقلاً وأحسنهم عبارةً ولفظاً.» (الفهرست لابن النديم: (آخر الفن الثانى من المقالة الأولى) ص٢٦)

وقد استند ابن أبى أصيبعة فى كتابه (عيون الأنباء فى طبقات الأطباء) على كتاب قينون المذكور ونقل عنه بعض التراجم. ولم أجِدْ فى المصادر الموجودة من يشير إلى وجود هذا الكتاب فى مكتبات العالم، ولعلّهُ فُقِدَ.

ومِمَّا تجدرُ الإشارة إليه هو أنَّ بعضهم ذكر اسمهُ «فثيون» واللهُ أعلم.

٢ـ كتاب «أدب الطبيب» تأليف إسحاق بن على الرهاوى (من أبناء القرن الثالث الهجرى)، نقل عنه صاحب «عيون الأنباء فى طبقات الأطباء»، والقفطى فى «أخبار العلماء بأخبار الحكماء»، بعض التراجم، والظاهرُ أنَّ هذا الكتاب قد فُقِدَ أيضاً ولم يصلْ إلينا.

٣ـ تاريخ اليعقوبى، تأليف أحمد بن إسحاق (أبى يعقوب) بن جعفر بن وهب بن

واضح اليعقوبى[1]، انتهى به إلى خلافة المعتمد على اللّه العباسى، طبعهُ (هوتسما)[2] فى ليدن سنة ١٨٨٣م طباعة حديثة، وفى النجف الأشرف سنة ١٣٥٨هـ وفيه الكثير من تراجم الأطباء.

٤ـ كتاب سيرة الحكماء، تاليف أبى بكر محمد بن زكريا الرازى المتوفى سنة ٣١٣هـ نقل عنه صاحب عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ولم يصل إلينا.

٥ـ أخبارُ الأطباء (المتطببين) وأخبارُ المنجِّمين، تاليفُ ابن الداية، ينقلُ عنه ابنُ أبى أصيبعة فى «عيون الأنباء»، والقفطى فى «أخبار العلماء»، كثيراً، وقد فُقِدَ ولم يصل إلينا.

٦ـ كتاب «التنبيه والإشراف»، تأليفُ المسعودى (على بن الحسين) المتوفى سنة ٣٤٦هـ/٩٥٦م، طبع فى ليدن ـ بريل سنة ١٨٩٣م طباعة حديثة، وتضمَّنَ الكثير من تراجُمِ الأطباء.

٧ـ كتابُ الفهرست لابن النَّديم، طبع مرّاتٍ عديدة، وهو من أهم المراجع فى هذا المضمار.

٨ـ طبقاتُ الأطباء والحكماء لابن جلجل الأندلسى المتوفى سنة ٣٧٧هـ طبع بالقاهرة سنة ١٩٥٥م.

٩ـ كتابُ «رتبة الحكيم» تأليف أبى القاسم مسلمة بن أحمد بن قاسم بن عبداللّه المجريطى[3]، الأندلسى[4]، انظر فهرست الكتب العربية المحفوظة بالكتبخانة الخديويّةِ بالقاهرة، ج٥، ص٣٨١ فى الكلام على «رتبة الحكيم».

١٠ـ كتاب «صوان الحكمة» لأبى سليمان المنطقى (محمد بن طاهر بن بابا بن بهرام السجستانى) المتوفى فى العقد الأخير من القرن الرابع الهجرى، نشر بطهران سنة ١٩٧٤ بتحقيق الدكتور عبدالرحمن بدوى، ويعتبر من أهم المصادر فى تاريخ الطبّ.

---

١. توفى بعد سنة ٢٩٢هـ/٩٠٥م، انظر الأعلام للزركلى، ج١، ص٩٠.

٢. هوتِسْمَا (Houtsma) مستشرق هولندى، أحد محررى دائرة المعارف الإسلامية فى طبعتها الأولى، نشر تاريخ اليعقوبى المذكور أعلاه، وساعد على طبع تاريخ الطبرى.

٣. مجريط = مدريد.

٤. هكذا ذكره الزركلى فى الأعلام ج ٨، ص ١٢١ نقلاً عن عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أُصيبعة.

١١ـ كتاب «مناقب الأطباء»، تأليف عبيدالله بن جبرئيل بن عبيدالله بن بختيشوع المتوفى سنة ٤٥٣هـ.

١٢ـ طبقات الأمم، تأليف القاضى أبى القاسم صاعد بن أحمد الأندلسى المتوفى سنة ٤٦٢هـ. طبع فى مصر وبيروت.

١٣ـ بُستانُ الأطباء وروضةُ الألباء، تأليفُ موفق الدين أسعد بن إلياس بن المطران المتوفى سنة ٥٨٧هـ، منه مخطوطة فى: Army Medical, Glevel and.U.S.A.

١٤ـ مختارُ الحكم ومحاسنُ الكلم، للأمير مبشر بن فاتک المتوفى سنة ٥٨٩ هـ. مخطوطة منه فى مكتبة أحمد الثالث كتبت سنة ٦٥٨ هـ، برقم ٣٢٤٩.

١٥ـ تاريخُ حكماء الإسلام للبيهقى المتوفى سنة ٥٩٥ هـ طُبِعَ بدمشق سنة ١٩٤٦م.

١٦ـ إخبار العلماء بأخبار الحكماء تأليف جمال الدين ابن القفطى (على بن يوسف) المتوفى سنة ٦٤٦هـ. طبع فى مصر سنة ١٣٢٦هـ.

١٧ـ عيون الأنباء فى طبقات الأطباء تأليفُ ابن أبى اصيبعة (موفق الدين أبى العباس أحمد بن القاسم) طبع بمصر سنة ١٢٩٩ـ١٣٠٠هـ.

١٨ـ وفيات الأعيان، لابن خلكان، طبع سنة ١٨٣٥ـ١٨٤٣م.

١٩ـ تاريخ مختصر الدول، لأبى فرج ابن العبرى، وفيه نقلٌ كثيرٌ عن ابن جَلْجَل، طُبِعَ فى بيروت سنة ١٨٩٠م.

٢٠ـ مسالک الأبصار فى ممالک الأمصار، تأليف شهاب الدين بن فضل الله العمرى المتوفى سنة ٧٤٩هـ، أفرد فيه قسماً كبيراً للأطباء فى المشرق والمغرب، طبعت دار المعارف المصرية بالقاهرة الجزء الأول منه سنة ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م.

أمّا فى أوروبا، فنرى مؤرخى زمن بعد النهضة العلمية (نهضة تجديد العلوم ـ Renaissance) قد وجهوا عنايتهم إلى آثار علماء وأطباء الإسلام ودوَّنوا فى مؤلفاتهم: تاريخ الطب الإسلامى، ورجال الطب والصيدلة، والمؤلفين والنقلة، ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر:

١ـ «Danel Le Clerc» فى كتابه تاريخ الطب

Histoire de La Medecine, La Haye, 1729.

٢ـ «Lucien Leclerc» فی کتابه تاریخ الطب العربی

Histoire de La Medecine arabe, Paris, 1876.

٣ـ «F.Wustenfeld» فی کتابه:

Geschichte der Arbichen Arzte and Natur for cher, Gottingen 1840.

٤ـ «Edward G.Browne» فی کتابه:

Arabian Medicine, Gambrige, 1921.

٥ـ «Dr.L.Meunier» فی کتابه:

Histoire de la Medecine, Paris, 1924.

٦ـ «Dr.Donald Campbell» فی کتابه:

Arabian Medicine and its influence on the Middle Ages, London, 1926.

٧ـ «Charles Green Cumston» فی کتابه:

M.D (Mme Dispan de Floran) Paris, 1931.

٨ـ M.Steineg,

K.Sudhof,

فی کتابهما:

Geschichte der Medizin, Jena 1928.

٩ـ A.Castiglioni فی کتابه:

Histoire de la Medecine, Paris, 1931.

١٠ـ Ch.Singer فی کتابه:

A Short History of Medicine, Dxford, 1938.

١١ـ Karl Brockelmann فی کتابه:

Geschichte der Arabichen Litteratur, Leyden, 1937, 1943.

١٢ـ Dr.Cyril Elgood فى كتابه:

A Medical History of persia, Cambridge, 1951.

وقد ترجم هذا الكتاب إلى الفارسية زميلنا الأستاذ المرحوم محسن جاويدان، وطبع فى طهران (مطبعة إقبال) سنة ١٣٥٢هـ. ش، فى ٨٩٠ صفحة.

١٣ـ E.H. Ackerknecht فى كتابه:

A short History of Medicine, New york, 1955.

١٤ـ Ralph H.Major فى كتابه:

History of Medicine, 1954.

١٥ـ Douglas Guthrie فى كتابه:

A Story of Medicine, London, 1957.

١٦ـ Dr.Henry F.Sigerist فى كتابه:

A Story of Medicine, Newyork, 1961.

١٧ـ Maurice Bariety

Charles Coary

فى كتابهما:

Histoire de la Medecine, Paris, 1963.

ومن المتَّفقِ عليه أنَّ كافة الكتب المذكورة أعلاه تعتبر من أمهات المراجع المعتبرةِ فى عصرنا الرَّاهنِ، وقد استند مؤلِّفُوها على مصادر التاريخ والطب الإسلامى.

عهد تجديد العلوم

بدأ عهدُ تجديد العلوم الطبية فى إيران مذ ظهرت مؤلفات الجرجانى (السيد إسماعيل بن حسن) فى ساحة العلوم الطبية، حيث ألّف أربعة كُتبٍ باللغة الفارسية جمع فيها كافة العلوم الطبية السائدة فى زمانه، وأضاف اليها ما حصل عليه من تجارب فى حياته العملية.

وصارت مؤلّفاتُ الجرجانى الأساس الثابت فى بناء علم الطب لطلاب العلوم وعشّاق

الصحة وعلومها وإلى كافة المؤلفين والمصنّفين الذين أكملوا هذه المسيرة.

ومَّما يجبُ التَّنويهُ عنه هو أنّ جماعةً قبل الجرجانىّ قد دوَّنُوا بعض مؤلفاتهم بالفارسية وأغلب مصنفاتهم كانت بالعربية كابن سينا وغيره، ولكنَّ الجرجانىّ اختار الفارسية لكتبهِ كما أوْجَدَ اصطلاحاتٍ فارسية للاصطلاحات الطبية السائدة فى علوم زمانه ومن اطلع على كتابه «الذخيرة» يحصل على ما قصد.

وقد اهتم الإيرانيون بمصنَّفات الجرجانى وكَثُرَ استنساخُها وتداولها، وذلک لأنها حوت علوم كتب أبى زكريا الرازى، وابن سينا، مع علوم الجرجانى وتجاربه، وخاطبت الناس بلغةِ البيت والمدرسة والشَّارع ولسان القلب والضّمير وكانت النتيجةُ أن سيطرتْ مؤلَّفاتُ الجرجانى على أفكار كافة من ألّفَ فى العلوم الطبية أو الصيدلة من القرن السادس إلى عصرنا الحاضر وكان كتابُ «الذخيرة» مصدر كل المصنفات التى ظهرت فيما بعدُ ككتاب «تحفة المؤمنين» المعروف بـ «تحفة حكيم مؤمن» تأليف محمد مؤمن بن محمد زمان الحسينى التَّنكابُنِىّ (طبع فى الهند سنة ١٢٦٦هـ وفى طهران مرّات عديدة آخرها سنة ١٣٧٨هـ.ق)، وكتاب «مجمع الجوامع» تأليفُ السيد محمد حسين خان بن ميرمحمد هادى العلوى الخراسانى الشيرازى، طُبِعَ فى كَلْكَتا «Calcutta» بالهندِ سنة ١٢٥٦هـ.ق، وفى بُومباى سنة ١٢٦٢هـ.ق، وغيرهما.

نعمْ لقد تمكَّنَ الجرجانى قبل تسعة قُرونٍ أن يُقَدِّمَ نظرياتٍ تطابقُ أغلبَ نظريات الطبِّ فى عصرنا الحاضر، ومن اطَّلَعَ على مؤلَّفاتِ الجرجانى يقف على مدى العطاء الذى قدَّمه بنتاجه العلمى للعلوم الطبية الشرقية والغربية، وتأثير هذا النتاج فى السَّيْرِ التَّكَامُلِىّ للطبّ فى العالم.

تاريخُ المستشفيات فى الإسلام

١ـ أوَّلُ مستشفى فى الإسلام خيمةُ رفيدة، حيثُ رُوِىَ أنَّ سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس الأنصارى الصَّحابىّ كانت له سيادةُ الأوسِ، وحملَ رايَتهُمْ يوم بدرٍ، وشهد الخندقَ ولكنهُ سُرعانَ ما أصيب فى يدهِ بجرحٍ شديدٍ من سَهْم رماهُ به أحدُ القريشيّينَ.

(صفة الصفوة، ج١، ص١٨٠، طبقات ابن سعد، ج٣، ص٢ القسم الثانى، الإصابة، الرقم ٣١٩٧، دائرة المعارف الإسلامية الترجمة العربية، ج١١، ص٤١٠، الأعلام للزركلى، ج٣، ص١٣٩) فأمَرَ الرسولُ (ص) أنْ يُوْضَعَ فى خيمةٍ «رُفَيْدَةَ» قُرْبَ المسجد الحرام، هو وبقيّة الجرحى، كى يتمكَّنَ الرسولُ الأكرم (ص) من زيارتهم. لذا اعتبرَ المؤرخونَ هذه الخيمة أوَّلَ مستشفى فى الإسلام.

٢ـ دارُ المرضى التى أسّسها الوليدُ بن عبدالملك فى دمشق سنة ٨٨ هـ وجمع فى فنائها المجذومين والعميان والمرضى وعيَّنَ لها أطباء ومُمرّضيْنَ وخدمةً وأجرى عليها الصَّدقةَ من بيتِ المالِ.

٣ـ بيمارستانُ الرشيد: تأسَّسَتْ هذه المستشفى بأمْرِ هارونَ الرَّشيدِ فى سنة ١٧١هـ، حيثُ طلبَ من طبيبهِ جبرئيل بن بختيشوع أنْ يُشَيّدَها ويقُومَ بإدارتها، فاستدعى جبرئيلُ عدداً من الأطباء للإشراف على أمورها، منهم أبو يوحنَّا ماسويْهُ الطبيب، وكان قبل ذلك طبيباً وصيدلانيّاً فى جندى شابور، واستمرَّ الخُلَفَاءُ على إحضار أطباء من جندى شابور وبقيت المستشفى فى يدى أطباء إيرانيين فى عهد الرشيد والمأمُونِ ومن جاءَ بعدهُمَا. (تاريخ البيمارستانات فى الإسلام للدكتور أحمد عيسى بك، ص٩)

٤ـ بيمارستانُ البرامكةِ، أسَّسَهَا البرامِكةُ فى بغداد فى أواخرِ القرن الثّانى الهجرى، وكان رئيسها ابنُ دهن الهندى. (راجع الفهرست لابن النديم ـ الفن الأول من المقالة السابعة ـ نقلة الهند والنّبط ـ ص ٣٠٥ ـ طبعة طهران)

٥ـ بيمارستانُ بَدْرٍ، أسَّسَهَا بدرُ غُلاَمُ المعتضدِ العباسى فى بغداد بِمَحَلَّة مُخَرَّمَ، (قال ياقوتُ فى معجم البلدانِ: «مُخَرّمُ» بضم أوّله وفتح ثانيه وكسر الراء وتشديدها، محلةٌ كانت ببغدادَ بين الرصافةِ ونهر المُعَلّى، وفيها كانتِ الدار التى يسكنُها السلاطينُ البويهيّون والسلجوقيون، خلفَ الجامع المعروف بجامع السلطان...) وكانت مصارفُ البيمارستان تُرْسَلُ فى كُلَّ سنةٍ من موقوفاتِ سِجاحِ والدة المتوكل العباسى.

٦ـ بيمارستانُ ابن الجرَّاح، أسَّسَهَا فى بغداد أبو الحسن على بن عيسى بن الجرَّاح، ذكره الزركلى فى الأعلام (ج٥، ص١٣٢) وقال: «وزيرُ المقتدر العباسى والقاهر وأحد

العلماء والرؤساء، فارسيُّ الأصلِ... ولى مكّة واسْتَقْدَمَهُ المقتدر إلى بغداد سنة ٣٠٠هـ فولاهُ الوزارة...» ورُوى أنَّهُ كان قد دفعَ كافة تكاليفِ المستشفى من خالص ماله، وعين أبا عُثمانَ سعيد بن يعقوب الطبيب الدّمشقيّ رئيساً لها.

٧ـ بيمارستانُ سيّدة، أسَّسَتْهَا أُمُّ المقتدر باللّهِ العباسى، وكان اسمها شَغَبُ وتُعْرَفُ بِسَيّدَةَ قال الزركلى فى الأعلام (ج ٥، ص٢٤٥): «شغبُ أمُّ جعفرٍ (المقتدر باللّهِ العباسيّ) مُدَبِّرةٌ حَازمةٌ، كانت من جوارى المعتضدِ باللّهِ وتزوَّجها، ولمّا آلت الخلافةُ إلى ابْنِهَا «المقتدر» سنة ٢٩٥ هـ وعمره ثلاث عشرةَ سنة قامت بتوجيهه، واستولتْ على أمورِ الخلافةِ... وكان لها الأمرُ والنّهىُ فى دولة ابنها وكانت صالحةً، وكان مُتَحَصَّلُهَا ألفَ ألفَ دينارٍ فتتصَدَّقُ بها وتخرجُ من عندها مثلها. من آثارها بيمارستانُ (مستشفى) أنشأتْهُ ببغداد، وكان طبيبهُ سنانَ بن ثابتٍ، وكان مبلغُ النفقةِ فيه فى العامِ سبعة آلافِ دينارٍ».

٨ـ بيمارستان المقتدر، أسَّسَهُ بابِ الشامِ فى بغداد جعفرُ المقتدرُ باللّهِ العباسيُّ سنة ٣٠٦ هـ وكان مبلغُ النفقةِ فيه مائتى دينار.

٩ـ بيمارستان مُعِزِّ الدولةِ الديلمى، أسَّسَهُ ببغداد مُعزُّ الدولةِ أبو الحسين أحمدُ بن بويه الديلميُّ سنة ٣٥٥ هـ، وكان مبلغُ النفقةِ فيه خمسة آلاف دينارٍ، تُدْفَعُ من موقوفات خُصِّصَتْ لهذه المستشفى.

١٠ـ البيمارستان العَضُدِيُّ، بناها عضدُ الدولةِ فناخسرو الديلميّ على دِجْلَةَ غربى جسر بغداد، وعيّن الطبيبَ المشهور محمد بن زكريا الرازى رئيساً لها.

ذكرَ ابنُ خلّكانَ فى وفيات الأعيان فى ترجمة فناخسرو الدَّيلمى (ج٣، ص٢١٨)، وقال: «والبيمارستان العضدىُّ منسوبٌ إليه، وهو فى الجانب الغربىّ، وغرمَ عليه مالاً عظيماً، وليس فى الدُّنيا مثلُ ترتيبهِ، وفرغَ من بنائه سنة ثمانٍ وستينَ وثلاثمائة، وأعدّ لهُ من الآلاتِ ما يقصرُ الشرح عن وصفهِ».

والظاهرُ أنَّ هذه المستشفى قد هُدِمَت وأصْبَحَتْ أنقاضاً نتيجة لفيضان مياهِ دجلة. قال ابنُ الأثير فى كتابه الكامل فى التَّاريخ (ج١١، ص٤٠٨، حوادث سنة ٥٦٩ هـ): «وزادتْ دجلةُ زيادةً عظيمةً... وخاف الناسُ الغرقَ، وفارقوا البلدَ، وأقامُوا على شاطئ

دجلةَ خوفاً من انفتاح القورجِ وغيرهِ، ونبعَ الماءُ فى البلاليع وخرّبَ كثيراً من الدُّورِ، ودخلَ الماءُ إلى البيمارستان العضُدى، ودخلت السُّفُنُ من الشَّبابيک التى لهُ، فإنَّها كانت قد تَقَلَّعَتْ...».

١١ـ بيمارستانُ فخر المُلْکِ، أسَّسَهَا ببغداد فخرُ المُلْکِ محمد بن على بن خلفٍ، وزيرُ بهاء الدولة البويهى.

١٢ـ بيمارستان واسط، ذكرها ابنُ كثيرٍ فى البداية والنهاية (ج١٢، ص١٤، حوادث سنة ٤١٣ ه) وقال: «وفيها (أى سنة ٤١٣ ه) فُتِحَ البيمارستان الذى بناهُ الوزيرُ مؤيدُ الملک أبو على الحسنُ، وزيرُ شرف الملک، «بواسطَ»[١]، ورتَّبَ له الخزّانَ، والأشربةَ، والأدوية، وغير ذلک مما يُحتَاجُ إليه».

١٣ـ بيمارستان بابِ المِعْوَلِ، بُنِيَتْ جنبَ محلةِ الكرخ فى بغداد سنة ٤٤٩ ه (انظر عقد الجمان فى تاريخ أهل الزَّمانِ المعروف بتاريخ العينى، لأبى محمد محمود بن أحمد العينى المتوفى سنة ٨٥٥ ه/١٤٥١م ـ حوادث سنة ٤٤٩ ه).

١٤ـ بيمارستان ميافارقين، أسَّسَها نصيرُ الدولةِ بن مروان حاكم ديار بكر فى عصر خلافة القائم بأمر اللّه العباسىّ.

١٥ـ بيمارستانُ المُوصِلِ، بناها سنة ٥٧٢ ه فى مدينة الموصل مجاهدُ الدين قايماز بن عبد اللّه الزينى حاكم الموصل زمن الأتابک سيف الدين غازى بن مودود ووقف أملاكاً كثيرة تصرف عائداتُها فى إدارة هذه المستشفى.

١٦ـ بيمارستان الرَّقَّةِ، ذكرها ابنُ أبى أُصيبعة فى عيون الأنباء فى طبقات الأطباء (ص٧٥١) فى ترجمة بدر الدين ابن قاضى بعلبک (هو بدر الدين مظفر ابن القاضى مجد الدين عبد الرحمن بن إبراهيم البعلبكى الطبيب ـ المتوفى سنة ٦٧٥ ه).

١٧ـ بيمارستان حرّان، ذكرها ابن جبير فى رحلته وقال إنّهُ شاهدها. (انظر رحلة ابن جُبير، طبعة ليدن، ص٢٤٧)

١٨ـ بيمارستان نصيبين، ذكرها ابنُ بَطوطَةَ فى رحلتهِ عندما ذكر نصيبينَ ومُرُورَهُ

١. الآن محافظةٌ فى العراق، مركزها «الكوت»، وأقضيتُها: الصُّويرةُ، النعمانيّةُ، بدرةُ، الحيُّ.

بها سنة ٧٢٠ هـ.

١٩ـ بيمارستان نابلُس فى فلسطين.

٢٠ـ بيمارستان دمشق الكبير.

٢١ـ بيمارستان أنطاكية، فى سوريا.

٢٢ـ بيمارستان حلب فى سوريا.

٢٣ـ بيمارستان حماة فى سوريا.

٢٤ـ بيمارستان القُدس فى فلسطين.

٢٥ـ بيمارستان غزّة فى فلسطين.

٢٦ـ بيمارستان عكّا فى فلسطين.

٢٧ـ بيمارستان الكرك فى الأُردن.

بيمارستانات إيران الإسلاميّة

١ـ بيمارستان جندى سابور، تعتبرُ أكبرَ أُمهاتِ مستشفيات الإسلام، وأعظمَ مصادرِ إمْدَادِ الطبِّ الإسلامى باطباء عظماء أمثال: آل بختيشوع وماسويه وابن سينا ومحمد بن زكريا الرازى و...، وذلک لقدمها فى تاريخ الطبِّ ومكانتها فى العلومِ الطبيةِ منذ أقدمِ العُصُورِ.

٢ـ بيمارستان الرّىّ، والرّىُّ مدينةٌ ملاصقةٌ لطهران، كانت من المستشفيات المهمّةِ فى إيران، وكان رئيسها الطبيبُ المعروفُ محمد بن زكريا الرّازى، (تاريخ الحكماء للقفطى طبعة مصر ١٣٢٦ هـ، ص١٧٨، وطبقات الأطباء والحكماء (طبعة القاهرة ـ ١٩٥٥م)، ص ٧٧) وتعتبر من أقدم بيمارستانات إيران فى العصرِ الإسلامى.

٣ـ بيمارستانُ زَرَنْجَ، أَسَّسَهَا عَمْرُو بنُ الليثِ الصفّار ثانى أمراء الدولة الصفاريّة وُلِّىَ بعدَ وفاةِ أخيه يعقوب بن ليثٍ الصفارِ سنة ٢٦٥ هـ، (انظر الأعلام للزركلى، ج٥، ص ٢٥٧) قال الإصطخرى فى المسالكِ والممالكِ (طبعةُ ليدن، ص ٢٤١): «بنى عمرُ بنُ ليثٍ الصفار فى زَرَنْجَ سُوْقاً ومسجد جامعٍ وبيمارستان».

وزرنجُ كما ذكر ياقوتُ فى مُعْجَمِ البلدانِ (ج٣، ص١٣٨): «بفتح أوّلِهِ وثانيهِ ونون ساكنة وجيم، مدينة، هى قصبة سجستان (وتسمى اليوم سيستان)...».

٤ـ بيمارستان إصفهانَ، ذكرها ابنُ أبى أُصيبعة فى «عيون الأنباء فى طبقات الأطباء»، ص٤٦٠، عند الكلام عن أبى على أحمد بن عبدالرحمن بن مندويَه الأصفهانى المتوفى بعد سنة ٣٥٠ هـ وقال: «لأبى على بن مندويه الإصفهانى منَ الكتبِ عدَّةُ رسائل مشهورةٍ إلى جماعةٍ من أصحابهِ فى الطبّ، وهى: رسالةٌ إلى أحمدَ بن سعد فى تَدْبِير الجَسَدِ، و...، ورسالةٌ إلى المُتَقَلِّدِيْنَ عِلاَجَ المرضى ببيمارستان إصفهان...».

٥ـ بيمارستان نيشابور، ذكرها خيرُ الدين الزركلى فى الأعلام، ج٤، ص٣٤٠، فى ترجمة عبدالملک بن محمد بن إبراهيم النيسابورى الخركوشى المتوفى سنة ٤٠٧هـ ، نقلاً عن كتاب «تبيين كذب المفترى»، طبعة دمشق، سنة ١٣٤٧ هـ ، ص٢٣٣، لابن عَسَاكِرَ، وقال: «قال ابنُ عساكرَ: بنى فى سكّتِهِ مدرسةً وداراً للمرضى، ووقفَ عليها أوقافاً، ووضع فى المدرسة خزانةً للكُتُبِ».

٦ـ بيمارستان مرو، ذكرها ابن البيطار (أبو محمد ضياء الدين، عبدالله بن أحمد المالقى المتوفى سنة ٦٤٦ هـ) فى كتابه الأدوية المفردة المعروف بمفردات ابن العطار[١]، طبعة مصر، ج٢، ص١٥، وذكر أن عيسى بن ماسة كان من أطباء هذه المستشفى.

هذه أهم البيمارستانات التى اشتهرت قبل عصر الانحطاط (أى قبل انهيار الدولة العباسيةِ وسقوط بغداد بيد هولاكو سنة ٦٥٦ هـ)، ونعزفُ عن ذكر مستشفيات عصر الانحطاط لقلَّتها أو بالأحْرى لانعدامها، وكذلک عصر النهضة والزمن الراهنِ لكثرتها وخروجها عمّا نحن فى صدده.

١. وسمَّاهُ حاجى كشف الظنون ـ ج١، ص٥٧٤: جامع مفردات الأدوية والأغذية. طبع بمصر بمجلدين.